منطقة قورارة بين الثبات والتحول
دراسة سوسيوانثربولوجية عن منطقة تيميمون

د. طلحة بشير

جامعة الاغواط. الجزائر

الملخص :

تسعي هذه الورقة إلي إبراز جانب مهم من الموروث اللامادي لمنطقة قورارة ، وهي عبارة عن جزء من بحث ميداني امتد لفترة زمنية طويلة ومرحلة استقصاء لم تنتهي بعد نظرا لان المنطقة تختزن موروثا غنيا في أبعاده ودلالاته يصعب الإلمام به والتنقيب فيه من خلال مجهود فردي ، بل يحتاج إلي جيل من المشتغلين بالعلوم الاجتماعية بجميع فروعه وتخصصاته للغوص في بقايا هذا الموروث الذي بدأ يتلاشي بسبب التغيرات التي لحقت ولا زالت تلحق هذه المنطقة سنة بعد اخري .

هذا ما جعلنا نطرح ثنائية الثبات والتغير باعتبار المنطقة تشهد تحولات عميقة شكلا ومضمونا ، وبدوره جعلنا ننقب عن الموروث ومدلولاته في ظل التغيرات المتتالية التي لحقته ، والتي لمسناها مابين الزيارة الاولي لسنة 2009 والزيارة الثانية خلال 2016 ، من خلال التقديم التالي وان كانت لا تحمل طابعا تفصيليا نظرا لما تقتضيه المقالات العلمية من شروط.

Abstract :

This paperis a part of a long-termfieldstudy and a phase of investigation that have not yetended, aims to detect the heritage of Gourara district thatisconsidered to be a richheritage in its dimensions and signs. It isdifficult to know and explore itthrough an individual effort, but itneeds a generation of social scientists in all its branches and specialities to explore the remains of thisheritagewhichstarted to fade because of the changes whichoccured and stillaccuring to affect thisregionyearafteryear.

That'swhyweproposed the two-fold (stability and change) as the regioniswitnessingdeep transformations in the form and content. And alsoit made us investigating the heritage and itssigns in the light of successive changes that have taken place in our first visit (2009) and the second visit (2016), through the followingpresentationevenitdoesn't have a detailform due to the conditions that the scientific articles shouldrequire.

مقدمة :

شكلت منطقة قورارة محور اهتمام حقلين معرفيين الاثنولوجيا والسوسيولوجيا على حد السواء بداية من القرن التاسع عشر وتجسد ذلك في مجمل الاعمال المبكرة المنجزة عن المنطقة والابعاد المتعددة التي مستها ، ورغم ما لهذه الدراسات من اهمية في مجال البحث العلمي حيث لا يمكن تجاوزها او الاستغناء عنها ، فان هناك مصادر اخري لا تقل اهمية عنها تتمثل في الموروث الشفهي الذي تتناقله الاجيال وتحفظه الذاكرة الجماعية ، عن كل ما يخص المجتمع القوراري ولاسيما مارتبط بجانبه الثقافي والذي

يتميز بغناه وتنوعه ، ومن هذه الممارسات التي تكاد تنفرد بها منطقة قورارة هي احتفالية اسبوع المولد النبوي الشريف .

جاء هذا العمل محاولة لاستقصاء وتتبع دلالات هذا الطقس من خلال التقرب من الحدث ميدانيا ومحاولة فهمه وتفسيره استنادا للتأويلات السوسيولوجية التي يمكن علي ضوئها استنطاقه وقراءته ، وتم كل ذلك وفق خطوات منهجية متسلسلة ركز فيها الباحث في البداية على إجراء عملية مسحية لمجمل الاعمال العلمية المنجزة حول المجتمع القوراري ومن ثم التطرق لتحديد مفهوم السبوع ومدلولاته وكذا عناصره ومكوناته و هذا من خلال المتابعة الميدانية لمراحل الحدث وطقوسه ، دون إهمال بطبيعة الحال لأهم التغيرات التي مست هذا الطقس والمنطقة في مجملها ، والتي بدأت تشهد تحولات كبري في مستويات متعددة اصبحت ظاهرة للعيان ، والتي ستؤدي بدورها الى تغير معاني ودلالات هذه الممارسات قبل زوالها ، فالدراسة في مجملها تسعي الي المساهمة في تسجيل وحفظ جزء بسيط من الذاكرة الجماعية والانتقال بها من المستوي الشفهي الي المستوي الكتابي ، وذلك وفق الطرح التالي :

المقاربة والمنهج :

إن إثارتنا لهذا الموضوع وبالخصوص في هذه المنطقة هو إعادة إثارة لإشكالات حقيقة مرتبطة بمدي فاعلية العلوم الاجتماعية في جامعاتنا وعلاقتها بالواقع الاجتماعي منهجا وتناولا ، فبعد السوسيولوجيا عن الواقع يعد إشكالا معرفيا حقيقيا يواجه جيل الشباب الباحث الذي ظل حبيس صفحات الكتب والرسائل ، ويفترض اختبارا واقعيا لكل المعارف النظرية المكتسبة ، كما يتطلب تمرسا ميدانيا من خلال توظيف جملة المناهج والأدوات المتعارف عليها في مثل هذه البحوث .

لذلك هذه الدراسة اكتست طابعا ميدانيا حقليا ، ألزم الباحث برمجة زيارة خلال المولد النبوي المصادف لـ 10 مارس من سنة 2009 ، فيما الزيارة الثانية برمجة خلال نفس المناسبة لسنة 2016 ، ودامت كلا الزيارتين ما يقارب العشرة ايام ، اتسمت الزيارة الاولي بالفضول العلمي لكشف الممارسات المرتبطة بالمولد أو مايسمي السبوع ، اعترضتها العديد من الصعوبات كان أهمها صعوبة التوغل في المجتمع المحلي والتواصل معه ولاسيما مع حضور اللهجة الزناتية التي كنا نود دوما فهم معاني الجمل التي يتم ترديدها ولكن دون جدوى ، رغم ذلك استطعنا من خلال بناء شبكة ملاحظة وتدوين الممارسات وتسجيلها مرئيا وإجراء بعض الاستجوابات والتقاط الصور من تشكيل صورة عامة عن تلك الممارسات وكذا عن حياة القصور بالمنطقة ، وقد كانت هذه الزيارة دافعا لإعادة تكرارها وبرمجة الزيارة الثانية التي كانت أكثر دقة وضبط نتيجة القراءات التي قام بها الباحث قبل التوجه للمنطقة و ربط العلاقات مع العديد من الشخصيات الفاعلة في المجتمع وكذا ظروف الاقامة التي سهلت المهمة .

لكن اهم ما يسجل بالنسبة لهذه الزيارة هو مدي التغيرات العميقة التي مست جزءا كبيرا من الممارسات المرتبطة بهذه المناسبة فثمانية سنوات كانت كفيلة بالتركيز على التغيرات التي طالت المنطقة

وممارساتها ، ولعل هذا ماجعلنا نركز اهتمامنا على التغيرات باعتبارها محور اهتمام علم الاجتماع ، لقد تم تبني المقاربة الفيبرية لفهم الممارسات من خلال اندماج الباحث في الواقع وإيجاد معاني ودلالات لهذه الأفعال، والبحث عن التفسيرات الوظيفية لجملة الممارسات في ظل التغيرات المتتالية .

كما يمكننا تسجيل الانزياحات المنهجية بين فترة وأخري وفق عملية التوصيف التي اعتاد عليها الاثنولوجيين، مما انجر عنه خللا منهجيا بين الواقع والمأمول والذي يتمثل في التأثر بالدراسات الانثربولوجية وأبعادها والمنظور السوسيولوجي من خلال الاشتغال بهذا الحقل طيلة هذه المدة .

لكن هذه الفترة على العموم لم تكن كافية للاستجابة لذاك الفضول الذي ظل يتزايد فترة بعد اخري بجوانب الموروث الذي تختزنه منطقة قورارة في عمومياته وخصوصياته .

منطقة قورارة في الدراسات السوسيولوجية :

الاهتمامات بمنطقة قورارة تندرج ضمن الاهتمامات المبكرة بالصحراء والتي قادها الرحالة العرب والمسلمين قبل الغربين " اذ يعتبروا اول من تعرفوا على أسرار المناطق الصحراوية ، وذكروا معالمها وظروفها السياسية والحضارية في كتبهم امثال ابن حوقل في القرن العاشر الميلادي والبكري في القرن الحادي عشر والإدريسي في القرن الثاني عشر والرحالة ابن بطوطة ، كما قام الرحالة الحسن ابن الوزان المعروف بليون الافريقي برحلته إلى الصحراء خلالا القرن السادس عشر" [1]، بينما بقية لقرون طويلة مجهولة لدى الاوروبين ولم تعرف النور الا مع الحملات الاستكشافية التي نظمها " الانجليز والالمان قبل الفرنسيين ، فقد كانت متأخرة وبشكل فردي " [2] ، وترجع البدايات الأولي للحملات المنظمة في الغالب من طرف العسكريين والضباط الفرنسيين الي الفترة الممتدة ما بين (1830-1850) وكان في مقدمتها الجينرال دوما (Dumas) ، الذي قدم من خلال كتابه[3] معلومات قيمة وتفاصيل دقيقة عن المنطقة ، تلتها اعمال الجينرال دوكلامب (DeColomb) حاكم دائرة البيض في عملية استكشافية للمنطقة وغيره من الضباط ، ولكن العمل الذي يحتل مكانة هامة ويعتبر " أهم ما كتب ونشر عن واحات توات " [4]هو كتاب لأحد الضباط المترجمين و" الحامل لشهادة في الجغرافية أ.ج.ب مارتان (G P Martin) سنة 1908 بعنوان الواحات الصحراوية "[5] ، وبخلاف هذه الدراسات وغيرها التي تندرج ضمن الدراسات

[1] ابراهيم مياسي ،**الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934** ، دار هومة ، الجزائر ، 2009 ، ص 79 .

[2] JEAN-MARC DUROU ,**l'exploration du Sahara** , Paris , babel , 1993 , p 105 .

[3] Eugène Daumas,***Le Sahara algérien*** : études géographiques, statistiques et historiques sur la région au sud des établissements français en *Algérie* , 1845 .

[4] مجمد اعفيف ، **توات مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها** ، كلية الاداب والعلوم الانسانية ، الرباط ، 2014 ، ص 21 .

[5] رشيد بليل ،**قصور قورارة واولياؤها الصالحون في المأثور الشفاهي والمناقب والاخبار المحلية** ، المركز الوطني للبحوث في عصور ماقبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ ، الجزائر ، 2008 ، ص 13 .

الكولونيالية الاستعمارية للعديد من العسكريين والمستكشفين ، لقت المنطقة نفس الاهتمام من طرف الجغرافيين كابوت- ري (Capot-Rey)[1] وجون بيسون (J-Bisson) [2].

تمتد الاهتمامات بالمنطقة حتي فترات الستينات اي مرحلة الاستقلال التي صاحبها صدور العديد من الدراسات الاكاديمية كان في مقدمتها دراسة "مجاهد بن عبو" وهي عبارة عن اطروحة درجة ثالثة في الاثنولوجيابتاطيرجيرمنتيون (Tillion)، حيث تعتبر " الدراسة الاولي بعد الاستقلال التي تحتوي علي بعض المعطيات الاثنوغرافية الهامة "[3]، أعقبها دراسات صدرت عن مركز البحث في الانثربولوجيا وماقبل التاريخ والاثنوغرافيا ، وكان في مقدمة هذه الدراسات دراسة مولود معمري عن الادب الشفاهي والمتمثل في اهليل " اهليل قورارة سنة 1984 " ، والسوسيولوجية فاني كولونا (Fanny Colonna) ، ولكن العمل السوسيولوجي الذي يستحق التقدير والاحترام من الناحية المنهجية والمعلوماتية هو عمل " نذير معروف "[4]حيث نستطيع القول انه تخلص من عقدة المستعمر و ناقش العديد من النقاط بجرأة وعمق متميزين في الطرح ، كما يمكننا الحديث عن أعمال كل من " رشيد بليل " و" عبد الرحمان موساوي " التي تم الاستعانة بهما والرجوع إليهما ، و يمكننا في الاخير الاشارة الي العديد من الدراسات خاصة التي ظهرت خلال هذه المرحلة لم نذكرها نظرا لأنها تندرج ضمن الدراسات التاريخية او الادبية او حتي الجغرافية ، ولكن ما يمكن تسجيله هو ان جلها كتبت باللغة الفرنسية وتكاد تنعدم الدراسات السوسيولوجية الاكاديمية الصادرة باللغة العربية حسب علمنا .

في اعتقادنا انه رغم المجهودات التي بذلت في التنقيب عن المنطقة مازالت لم تكتمل وانها تحوى العديد من الجوانب المهملة التي لم يركز عليها الباحثين ، بل نعتبر المنطقة مازلت بكرا قابلة لإعادة الاستنطاق والنبش .

السبوع :المدلول والممارسة :

تعني كلمة مولد في معجم المعاني الجامع اسم مكان من وَلَدَ ، ولد من موضع الولادة ، بينما المَوْلِدُ اسم زمان من ولَدَ من وقت الولادة ، ويعرف المولد في المغرب العربي " بميلود وهو الحدث المصادف لمولد الرسول صل الله عليه وسلم 12 ربيع الاول " [5]ويكتسي المولد طابعا تقديسيا لدي سكان المغرب العربي ويطلق علي الشهر كله " سيدنا ميلود " [6] ، وهو يعني بشكل عام الذكري ، اي ذكري

[1]Robert CAPOT-REY, **le Sahara Français** ,puf , paris , 1953 .
[2]JaenBisson , **Mythes et Réalités d'un desert convoité LE SAHARA** , paris , L'Harmattan , 2003. .
[3] رشيد بليل ، مرجع سبق ذكره ، ص 15 .
[4]Nadir Marouf , **Lecture de L'espace oasien** , Sibdbad , Paris , 1980 .
[5]Abderrahmane Moussaoui, **Espace et sacré au Sahara. Ksour et oasis du sud-ouest algérien** ,Paris, CNRS Éditions, 2002, (http://books.openedition.org/editionscnrs/897)
[6]Ibid .

ولادة النبي ، وان كان تاريخ ولادته اي السنة يثير الكثير من الجدل [1]، و" المولد في اي مكان سواء في تيممون او المغرب او العالم الاسلامي هو لحظة حدث من الذاكرة الجماعية " [2]وبمناسبة هذا الحدث " اماكن يتم زيارتها من اجل احياء لذاكرتها الجماعية المشتركة التي عاشتها الجماعة " [3]، كما " يتعلق دوما بحادث مقدس له اصل سابق والذي اعيد حاضرا طقوسيا " [4]، ولكن السؤال الذي يطرح كيف تأسس هذا الطقس في منطقة قورارة ؟

يرتبط السبوع بحكاية تناقلها سكان المنطقة عن أصل تأسيسه نقلها " بليل " وفق التالي :

" كان اول من احياه سيدي الحاج بلقاسم وسيدي الحاج بومحمد ، لقد ظهر النبي (ص) في الرؤية لسيدي الحاج بلقاسم ، ركز عليه بصره وقال له : ستحي اليوم السابع بعد مولدي ، سوف تعطي رطلا ونصفا من حبوب القمح التي تطحن لتحضير الطعام ، ضع الطعام في طبق وقدمه لرجالك ، سوف تدعوهم جميعا ، اذا ما كان هذا الطعام كافيا لجميع المدعوين وبقي منه ، فاعلم أن المصطفي ، وان لم يكف الطعام فاحذر، لأنه في هذه الحالة لن أكونأنا النبي من خاطبك لكن الشيطان " [5]، ومنه استدعي سيدي الحاج بلقاسم تلامذته وقال لهم " سنحي ذكري مولد النبي " ، وانضم اليه أيضاأولياء القصور الاخري .

يتأسس الطقس حسب الحكاية من رؤية والرؤية في التصور الاسلامي لها مكانة هامة نظرا لانها تعتبر جزء من النبوة وخاصة رؤية النبي التي لا يمكن ان تكون من الشيطان وهذا تأكيد علي صحتها وإضفاء شرعيتها وعدم الطعن فيها .

يتمحور الطقس حول إعداد الطعام المعلوم مقداره وهو رطل ونصف (كمية صغيرة) وتوزيعه على الأتباع ، ويبدو أن الاختبار الرئيسي (الإعجاز) يتمحور حول إطعام الطعام او البركة التي تحل بالطعام رغم قلته ، وان زوال صفة القداسة من عدمها مقرون بتوفر بركة الطعام .

تحمل هذه القصة الكثير من الدلالات وكذا الأسئلة ،فتأسيس الطقس هو إثبات في نفس الوقت لولاية الحاج بلقاسم في المنطقة ، فهي تعادل الفتح لدي بعض شيوخ الصوفية ، بهذا الطقس يصبح الحاج بلقاسم " أهم ولي فى قورارة " [6]، ولكن السؤال الذي يطرح كيف تحول الاحتفال من ليلة المولد الذي اقره الكثير من العلماء وتبناه العديد من الحكام والسلاطين في المغرب بصفة خاصة كان علي رأسهم

[1] هشام جعيط ،**تاريخية الدعوة المحمدية في مكة** ، دار الطليعة ، بيروت ، 2007 ، ص 143.

[2] Op ; cit .

[3] Ibid .

[4] مارسيالياد ،**المقدس والمدنس** ، تر: عبد الهادي عباس ، دار دمشق ، دمشق ، 1988 ، ص 70 .

[5] رشيد بليل ، مرجع سبق ذكره ، ص 164 .

[6] رشيد بليل ، نفس المرجع ، ص 165 .

المرنينين و الزيانين خلال القرن الرابع عشر[1]؟ الي احتفال يدوم اسبوع كامل ؟ وخاصة ان الاحتفال بالسبوع هو تعبير عن مناسبة اخري تعرف في الممارسة الدينية بالعقيقة .

لكن هل يمكن الوقوف عند المدلول الظاهري لهذا الطقس والممارسات المرتبطة به ؟ او هل يكفي البحث في اصول تأسيس هذا الطقس لفهم معانيه ودلالته ؟

الركب والمسيرة :

يمتد الحدث مجاليا الي كامل منطقة قورارة بجميع قصورها تقريبا ، وهو بذلك يقطع مسيرة تدوم أسبوع من أول نقطة الي أخرها ، مبتدأ بقصر تيرنكوك كأول المسير" اين ينطلق الموكب في اول يوم المولد ، مارا بعد ذلك بالقصور الأساسية للمنطقة (سموتة ، اولاد سعيد ، كالي ، ماسين ، زاوية سيدي الحاج بلقاسم)[2]، وبهذه المسيرة تدمج جميع قصور قورارة في إحياء ومشاركة الحدث ، وهنا يظهر الدور الذي تؤديه هذه المناسبة في إعادة تشكيل علاقات الأواصر والترابط بين قصور المنطقة ، وتتجلي الممارسات المرتبطة بهذا الحدث حسب تتبعنا إياها في العناصر التالية مركزين علي الجانب الممارساتي لها :

الُفقرَة :

وهو مصطلح أصله من الفقراء ، ويقصد به المجموعة التي ترافق وتسهر علي حمل الراية(وان كان سكان المنطقة يفضلون استعمال مصطلح العلام أي العلم)[3]، ويرافقها احد أحفاد الشيخ أو الصالح ويحمل العلم أو الراية (الُخدَامْ) أي خدام الشيخ ، والراية في الغالب عبارة عن عمود خشبي تعلوه كرة نحاسية على شكل دائري ويحمل الراية التي تختلف حسب اللون من قصر و زاوية إلي أخري(انظر الصورة رقم 1) ، وتتجسد كل الممارسات في الرايات التي تصبح تعبيرا عن القبيلة أو رمزا لها ، فالبداية من نقطة الانطلاق تصبح الرايات تعويضا عن الجماعة ، ورمزا للولي أو الصالح وهذا ما يعبر عنه عندما تحل الراية من منطقة إليأخري بتعبير (حل بقصر كذا ، يبيت الليلة هنا ، ضيفوه في القصر....الخ) ، وكأنها استعارة عن شخصية الولي أو الصالح والذي بدوره يمثل قبيلة أو قصرا .

الحضرة :

تلازم الحضرة التي تعني ترديد قصائد وأذكار للمشايخ وعلماء المنطقة وغيرها ، الحدث من بدايته إلي نهايته ، فهو طقس يعبر عن الفواصل الزمنية للانتقال من مرحلة إلي أخري ، عند حمل الراية واستقبالها يتم ترديد العديد من القصائد وعند نزول الراية او العلم في قصر معين ، فهي ترتبط بتغير وتيرة الممارسة الطقسية ، في الغالب هذه القصائد تنتمي للطريقة الطيبية ، إلى أن هذا الطقس لا يلازمه أي حدث موسيقي.

---

[1] نفس المرجع ، ص 165 .

[2] Abderrahmane Moussaoui , op cit .

[3] رفض العديد من الذين اجرينا معهم لقاءات استعمال مصطلح الراية وأصروا علي استعمال المصطلح المتداول وهو العلم .

الصورة رقم 1 : تمثل دخول الرايات الي الضريح - تصوير

السلكة :

المقصود بالسلكة هو ختم قراءة القران كاملا ، وترجع بدايته الي محمد بن الحاج بلقاسم الذي بدأه عند قبر شيخه ومن ثم سنها في المنطقة وأصبحت تقام في المساجد وخاصة في المساجد التي يوجد بها أضرحة الاولياء ، أين يقرأ القرآن جماعة بداية من صلاة العصر حتي صلاة الفجر ويتوقف خلال صلاة العشاء ، وهو طقس مرافق للاحتفال بالاسبوع يضفي طابعا تقديسيا دينيا له من خلال الاعتقاد في حلول البركة بختم القران ، كما يعتبر فاتحة لانطلاق السبوع وخاتمة له ، حيث يختتم الحدث في المكان الذي يسمي الحفرة بقراءة القران وتلاوة الفاتحة والدعاء (الصورة رقم 2).

الصورة رقم 2 : وصول الرايات الي الحفرة - المصدر الباحث

تتكفل مجموعة الُطلبة بهذا الطقس والذي لا يمكن لغيرهم تأديته فنحن أمام مجتمع يحسن تقسيم الادوار والمهام حسب المكانات ، فإذا كان الطلبة يقومون بهذا الدور فان العبيد من جهة اخري ومن اجل إدماجهم في هذا الطقس يتكفلون بالجانب الفلكلوري من بارود ورقصات (الصورة رقم 3).

الصورة رقم 3 : تمثل فرقة البارود - المصدر الباحث

من الديني الى الاجتماعي :

التأويلات السوسيولوجية التي قدمها علماء الاجتماع وعلي رأسهم دوركايم في كتابه " الاشكال الأولية للحياة الدينية " وفيما بعد علماء الانثربولوجية حول الوظائف الاجتماعية للممارسات الدينية تجعلنا نؤكد بوجود وظيفة اجتماعية مرتبطة بدرجة كبيرة بالتركيبة الاجتماعية لهذه المنطقة والتي تمتاز بحضور قبلي قوي وتعدد اثني واجتماعي يجعل من الصعب توافقه وانسجامه إلا في ظل وجود سلطة دينية مهيمنة تمارس ضبطا اجتماعيا وتضمن تراتبا تكون الولاية و الشرف أساسه، فهي تعيد بطريقة أخري رسم المنطقة من خلال توزيع الأدوار والمكانات انطلاقا من المركز وصولا الي الهوامش حسب القرب والبعد من المقدس ، وهذا ما يوضحه " بليل " في كتابه من خلال البحث في العلاقات بين أولياء ومرابطي القصور الاخري الذين في الغالب هم أتباعأو تلاميذ الحاج بلقاسم وفي بعض الأحيان حلفاؤه .

الفضاء الصحراوي والحضور الديني :

تمتاز منطقة قورارة بحضور وكثافة الممارسة الدينية هذا الحضور " لا يضاهيه أي حضور أخر في الجزائر حتى في الأوساط الحضرية " [1] ، على جميع المستويات والأصعدة ، بداية من المنطوق ومرورا بالممارس ووصولا إلي المعيش والمؤسس ، عدد الزوايا والمرابطين بالمنطقة و المدارس القرآنية والمساجد ، مما يجعلها مؤسسات مهيكلة للمجتمع لا يمكن تجاوزها ، كما تتمحور جل الممارسات

[1] Fanny COLONNA , **TIMIMOUN, un civilisation citadine** , ENAP , alger , 1986 , p 84 .

والطقوس بترديد المتون والحواشي التي تم حفظها عن ظهر قلب لبعض المشايخ المنتمين بدورهم للطرق الصوفية ، حتى العبارات التي يتم التغني بها في الحفلات والمناسبات الاجتماعية لها صلة بما هو ديني هذا ما جعل اللسان القوراري إن صح التعبير يعتاد على عبارات تعكس إيمانه القوي بالقدرة الإلهية والتسليم ، هذا الوضع يرجعه الكثير من من قاموا بدراسة المنطقة إلى سلطة هيمنة المرابطين والمشايخ علي الحياة الاجتماعية والثقافية باعتبارهم الصفوة المشكلة لايديولوجية المجتمع وانتمأته الثقافية ، ولكن هذا التفسير لا يمكن اعتباره هو العامل الاساس في فهم هذه الوضعية مالم يربط ذلك بالفضاء الذي تشكل فيه بمفهومه الجغرافي ، إذ من الصعب تأسيس حواضر ومنظومة ثقافية في وسط صحراوي منافي لأي نماء وتطور ، هذا الفضاء الذي ساعد على تنامي نزعات الايمان والتسليم والاعتقاد بالأولياء والصلحاء وسلطتهم ، كما يتجسد ذلك من خلال عدد الزيارات التي قاربة المئة زياة خلال السنة كاملة ، بمعني عدم انقطاع هذه الممارسات خلال فصول السنة [1].

السبوع من الرمزية الي الممارسة العنفية :

حسب مقابلاتنا مع بعض المشايخ الذين حضروا هذه المناسبة من كبار السن اكدوا جلهم على انه فيه اختلافات في الطريقة التي يتم بها إحياء السبوع في إشارتهم إلي المنحي العنفي الذي أصبحت تمارس به طقوس الحدث خاصة من لدن فئة الشباب الذين بدأت تظهر لديهم نزعة عنفية تعبر عن مشاعر الانتماء واظهارها للاخر ، وتظهر خاصة في حمل الرايات الوافدة والتي تعبر عن الانتماء القبلي الذي بدا فيه نزعة كبيرة لإحيائه والتمسك به ، فالراية هي رمز الانتماء القبلي يجب إظهارها وإعطائها مكانة ضمن الرايات الاخري ، فالمسار الذي رسم للراية لا يتم الالتزام به في الغالب من طرف الشباب الحامل لها ، والمواكب التي كانت تحضرها السكينة والخشوع أصبحت تعزوها الفوضي والصخب وأصبح يركض بالراية من اجل الوصول المبكر بها ، كما غابة تلك الدعوات التي عكف علي ترديدها الآباء في رحلة الوصول الي الحفرة وقد وقفنا علي جوانب هذه الانحرافات في الممارسة و وثقناها بالصور كما استحدثت بعض الممارسات التي تعطي طابعا فلكلوريا للطقس لم تكن موجودة حسب من عايشوا الحدث كإدخال لعبة الفروسية في كل منطقة يتم التجمع بها (الصورة رقم 4) .

تغير في الممارسة أم تغير في المجتمع ؟:

لم تطل التغيرات هذه الممارسات فقط التي كانت تشتهر بها المنطقة وكانت تستجيب لمنظومة اجتماعية وفكرية وعقدية تم ترسيخها منذ زمن طويل بل يمكن تسجيلها على كامل جوانب الحياة الخاصة بمنطقة قورارة والتي بدت تفقد شيء فشئ العناصر التي كانت تشكل هذه المنظومة في مستوياتها المختلفة

[1] http://www.amistimimoun.org , dates ziaras , (03.07.2017) .

الصورة رقم 4 : لعبة الفروسية التى تقام فى الحفرة – المصدر الباحث

بداية بالموروث الذي بدأ يتلاشي بفعل النسيان وفقدان الكثير من من يحملون هذا الموروث ، وبدا ذلك واضحا عندما كنا نستنطق السكان حول هذه الطقوس وأصولها أو حول السكان وعاداتهم وتقاليدهم ، وفي الغالب يتم إرجاعنا إلي كتاب رشيد بليل وكأن الذاكرة اختفت مرة واحدة ، بل الحكايات التي يتم ترديدها إجابة عن أسئلتنا في الغالب يتم الاستعانة بها من خلال هذا المرجع .

لقد أصبحت المنطقة قبلة للمترفين الطالبين للراحة والاستجمام بعدما كانت قبلة للصلحاء والاولياء وبدأت تتحول بساتين القصور إلي مباني فاخرة للوافدين من مناطق مختلفة لأغراض السياحة والاستجمام وبالتالي أصبحت المنطقة قبلة للعديد من السياح وطالبين الراحة والفضول ، الذين ما ينفكوا عن تحوير الممارسات والتدخل بها وعدم احترامها سواء في موسم السبوع او غيره ، والتي كان من اسبابها عدم فهم هذه الممارسات وابعادها والاقتصار علي الطابع الفلكلوري الترفيهي ،

إننا أمام مجتمع يتغير بكل معني الكلمة رغم عزلته وتهميشه هذا التغير الذي بدا ظاهرا للعيان لكل من يهتم بالمنطقة سنة بعد اخري وبهذا التغير سوف نفقد الكثير من الممارسات والطقوس والعادات التي ظلت لقرون تقاوم الانجراف ، لقد شعرت بهذه التغيرات في جوانبها المختلفة من خلال الفارق الزمني بين الزيارتين كما لاحظها غيري من من زارو المنطقة ، وهذا يفرض علينا كباحثين ضرورة الإسراع في تسجيل وحفظ ما تبقي من هذا الموروث قبل ان تطاله شوائب الزمن .

خاتمة :

ليس من السهل الإحاطة بموضوع كهذا وفي فضاء كالذي درسناه ، نظرا لما لهذه المنطقة من موروث يغري الباحثين بجميع تخصصاتهم وميولاتهم في الاهتمام به والبحث فيه ، لقد لاحظنا كيف كانت منطقة قورارة قبلة للعديد من الباحثين والمهتمين في مجالات مختلفة ومنذ أوقات مبكرة مما جعلها تحظي بدراسات وفيرة متعددة التخصصات والمشارب ولكن لم تكن كافية علي الأقل بالنسبة لنا في

الإجابة على العديد من الأسئلة التي يمكن أن يطرحها الزائر عن المنطقة والذي يريد الكشف عن الأحداث التي مرت بها ،فا بتعبير مارتان " مادفن اهم مما هو باقي " [1]، وتأتي هذه المقالة كمحاولة للإسهام في نفض الغبار عن بعض الجوانب المرتبطة بأهم حدث سنوي تشهده المنطقة من الخلال البحث في مدلولاته وتفسيراته ، رغم إيماننا بأن الموضوع في حجمه يتجاوز المقالة.

لقد كان من الصعب الاقتراب من هذا الموضوع والغوص فيه نظرا لعدة أسباب ذكرنا بعضها وغفلنا عن أخرى والتي كانت أهمها الصعوبات المرتبطة بالدراسات الميدانية في بلادنا والظروف المحيطة بها بالنسبة للباحثين وهذا بدوره يعبر عن قصور في التصورات المرتبطة بالبحوث العلمية والتي يختصر معناها بالنسبة للبعض في المخابر والتجارب دون إدراكهم لأهمية الدراسات الحقلية المرتبطة بالواقع والتي تتطلب معايشة الباحث في المجتمع المبحوث .

ان أي مساهمة في الكتابة في تاريخ المنطقة مهما كان مستواها هو مساهمة في حفظ الذاكرة الجماعية من النسيان والتلف ولاسيما في ظل التغيرات المتتالية التي تشهدها منطقة قورارة في جميع المجالات و الجوانب ، ولعل هذا ما جعلنا نركز مقالتنا حول التغيرات التي طالت المنطقة شكلا ومضمونا ، إذ كان منطلق الدراسة يتمحور حول الممارسات المرتبطة بالسبوع ، وانتقلت الي ما هو اشمل من السبوع الي التغير والذي تخضع له جميع الأنساق والنظم واخترنا له عنوان الثبات والتغير إشارة الى مدي التغير الذي تسير به المنطقة والذي ينعكس علي جميع المجالات ، فنحن أمام مجتمع يتغير أو هو في حالة تحول وبذلك نفقد الكثير من الممارسات التي ارتبطت ولفترة زمنية بتكوينه وتشكله ، وهذا سيصعب علينا مرة اخرى فهم خصوصياته وسيرورته .

لكن في الأخير لا يمعنا ذلك من ضرورة تركيز الجهود وتوجيهها نحو هذه المناطق وغيرها من الوطن التي تحتاج الي استنطاق ونبش من طرف الباحثين من اجل إعادة الاعتبار لذلك الموروث الذي يشكل جزءا كبيرا من هويتنا وانتمائنا .

قائمة المراجع:

باللغة العربية :

1) ابراهيم مياسي ،**الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934** ، دار هومة ، الجزائر ، 2009 .

2) رشيد بليل ،**قصور قورارة واولياؤها الصالحون في المأثور الشفاهي والمناقب والاخبار المحلية** ، المركز الوطني للبحوث في عصور ماقبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ ، الجزائر ، 2008 .

3) مارسيالياد ،**المقدس والمدنس** ، تر: عبد الهادي عباس ، دار دمشق ، دمشق ، 1988 .

[1] A-G-P Martin , **Les oasis Sahariennes (Gourara - Touat - Tidikelt)** , Alger : L'Imprimerie Algérienne, 1908 ,p 6 .

4) مجمد اعفيف ، **توات مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها** ، كلية الاداب والعلوم الانسانية ، الرباط ، 2014 .

5) هشام جعيط ،**تاريخية الدعوة المحمدية في مكة** ، دار الطليعة ، بيروت ، 2007 .

باللغة اللاجنبية :

*6) A-G-P Martin , **Les oasis Sahariennes (Gourara - Touat - Tidikelt)** , Alger : L'Imprimerie Algérienne, 1908 .*

*7) Eugène Daumas,***Le Sahara algérien** *: études géographiques, statistiques et historiques sur la région au sud des établissements français en* Algérie *, 1845 .*

*8) Fanny COLONNA , **TIMIMOUN, un civilisation citadine** , ENAP , alger , 1986 .*

*9) JaenBisson , **Mythes et Réalités d'un desert convoité LE SAHARA** , paris , L'Harmattan , 2003.*

*10)JEAN-MARC DUROU ,**l'exploration du Sahara** , Paris , babel , 1993 , p 105*

*11)Nadir Marouf , **Lecture de L'espace oasien** , Sibdbad , Paris , 1980 .*

*12)Robert CAPOT-REY, **le Sahara Français** ,puf , paris , 1953 .*

13)http://books.openedition.org/editionscnrs/897

14) http://www.amistimimoun.org/